

استقالة عبد الحميد الجلاصي.. محاكمة علنية لحركة النهضة

تراكم الاستقالات ورسائل الاعتراف يسحب عن حركة الغنوشي الغطاء الديني والأخلاقي



تفتتح استقالة القيادي في حركة النهضة عبد الحميد الجلاصي الباب على أسئلة كثيرة حول ما تمر به الحركة التي كانت إلى وقت قصير تتباهى بكونها الحزب الوحيد الذي حافظ على تماسكه في تونس في السنوات الأخيرة. ورغم أن قراءة خلفيات هذه الاستقالة قد لا تصل إلى الحديث عن تصدع داخل النهضة إلا أنها في الوقت نفسه تنزل بالصورة التي لطالما سوّقتها النهضة عن نفسها إلى أرض الواقع وتزرع عنها جبة "الزهد والتدين" والتزام الجميع بخط الجماعة.

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

تونس - تفقد الحركات ذات الخلفية الدينية تماسكها بمجرد خروجها إلى الضوء وتخلصها من المظلومية وسرديات السجون والارث النضالي، وهي العناصر التي نجحت من خلالها في السيطرة على قلوب الأنصار، خاصة بتحويل التجربة السياسية الحزبية إلى معادل رباني، حيث يساوي الأتباع والمريدين بين صورة أي قيادي في أي حركة إخوانية وبين الصحابة.

هذا التشبيه أثار إليه عبد الحميد الجلاصي، القيادي التاريخي في حركة النهضة التونسية، الذي استقال منذ أيام وكتب رسالة مهمة في دحض صورة الحركة الربانية والرسالية التي تعمل الحركات ذات المرجعيات الإخوانية على تسويقها عن نفسها لتبرير توظيف الدين، فيما الصورة عكس ذلك تماما، وفق ما كشفت رسالة الجلاصي. جاءت الرسالة في صيغة محاكمة صريحة وبإدلة قاطعة لتاريخ حركة النهضة المسمى بالمنافرة. وأعطت مبررا إضافيا لمخاوف النخبة التونسية التي لم تصدق خلال سنوات طويلة (منذ 1989 تاريخ تغيير الاتجاه الإسلامي إلى حركة عن ثقافة "الحاكمية" التي تبني عندهم قناعة بانهم الأحق بالدين والسياسة والحياة.

استقالة عبد الحميد الجلاصي هي الأهم والأكثر تأثيرا منذ الاستقالات التي تلت حادثة باب سويقة في سنة 1991. ودفعت هذه العملية ثلاثة قيادات تاريخية إلى الاستقالة والتبرؤ من ممارسة عنف يؤدي إلى قتل حارس مقر للحزب الحاكم (التجمع الدستوري الديمقراطي) في قلب العاصمة التونسية، وهؤلاء هم عبد الفتاح مورو، والفاضل البلدي (رئيس مجلس مشرفي، وبنعيسى الدمني (استاذ فلسفة) أحد الوجوه الفكرية المدنية التي ظلت طريقها إلى حركة دينية بلا مرجعية فكرية ووضعية. وليس المهم استقالة الجلاصي، التي قد تكون في جانب منها ردة فعل على خسارة نفوذه في حركة النهضة والذي يتهم بأنه أحد الذين دفعوا كثيرين غيرهم إلى الاستقالة مكرهين، ولكن الأهم هي الاعترافات التي دونها، سواء ما تعلق بالشأن الداخلي للحركة وسيطرة راشد الغنوشي على القرار وإلغاء المؤسسات القيادية مثل مجلس الشورى، أو ما تعلق بعلاقتها بالدولة وعقلية الغنيمية.

التخلص من إرث الجماعة

منحت التجربة التونسية ما بعد ثورة 2011 فرصة نادرة لإعادة الإسلاميين إلى أرض الواقع، وتجريد الحركة من "ربانيتها" و"رسالياتها" ومشروعية تمثيلها للإسلام كتجربة سياسية تحمل الحل دون سواها.

وإذا كانت الحركة قد حصلت على موقع مقدم في انتخابات 2011 بسبب إرث المظلومية، وفاتورة مواجهة نظام بن علي، وحماس جزء من التونسيين لمعرفة حدود شعاع "الإسلام هو الحل"، وكيفية استثمار "النزاهة" و"نظافة اليد" و"الخوف من الله" في السياسة، فإن حركة النهضة تراجمت في انتخابات 2014 و2019 وفقدت أكثر من ثلثي

الصورة لم تعد ناصعة البياض

أداء راشد الغنوشي وفريقه، وليس من المستبعد أن يعودا إلى مواقع متقدمة في سياق ترضية ما بعد مرور الوقت وتهدئة الخواطر.

رسالة عبد الحميد الجلاصي جاءت في صيغة محاكمة صريحة وبإدلة قاطعة لتاريخ حركة النهضة الحافل بالمناورات

إن التقييمات النوعية التي تعكسها رسائل الغاضبين هي بالأساس لحظة وعي ناجمة عن فقدان المكاسب والحظوة في حركة باتت قبلة للباحثين عن المجد والمزايا والحصول على مواقع متقدمة في مؤسسات الدولة، لكن لحظة الوعي تلك سرعان ما تبرد وتخفي مع أول مغازلة من الغنوشي وفريقه.

ومن ثمة، فإن تلميح الجلاصي بالتحرك ضمن "مشروع جديد" قد تكون ورقة ضغط على الغنوشي الذي يحتاج الآن إلى تبريد الجبهة الداخلية للفرغ إلى معارك الحكومة والبرلمان ورسالة طمأنينة لدوائر المال المحلية والدولية.

وهناك مساع لإقناع عبد الحميد الجلاصي بالتراجع عن الاستقالة مقابل "ترضية" تليق بدوره، لكنها لن تطيب الجرح الغائر بينه وبين راشد الغنوشي بعد اتهامه بأنه الوحيد في العالم الذي بقي خمسين عاما في قيادة حزب ويريد أن يواصل فترة أخرى.

ولا يمكن الحديث عن حزب "الغاضبين" طالما أن النقد يقوم على خصية الحساب مع أداء النهضة ومدونتها دون إطلاق مبادرة تفصيلية للبناء عليها في مرحلة قادمة، فلا يكفي أن يكون مشروع "الغاضبين" الهجوم على الغنوشي.

وكان زيتون لوج في فترة الغضب بتشكيل حزب وطني محافظ تحت مسوغ أن "ما يقارب أربعين بالمئة من النخب النهضوية الجهوية والمحلية للعاصمة قد اختارت دعم خيارنا السياسي الذي رأت فيه أملا للحركة والبلاد في مستقبل أفضل عبر حزب وطني محافظ حديث يتخلل عن توظيف المقدس لينكّب على مشاكل البلاد المعقدة".

لكنه يخاف أن يتمّ واد هذا الحزب على شناعة البناء الوطني الذي أسسه رياض الشعبي، وضاع هذا الحزب في الزحام بالرغم من وجود عناصر قيادية داخله تدفع نحو تجذير المواقف في مواجهة المنظومة القديمة، وهو ما يعتقدون أن النهضة تخلت عنه.

بصفة معلنة أو دون صفة، وظهوره بمظهر العارف بالتفاصيل الدقيقة والمعبر عن الموقف الرسمي.

ومن المهم التأكيد على أن استقالة الجلاصي ستترك أثرا معنويا كبيرا في صفوف حركة النهضة، لكن من المستبعد بالتعاقدات والديمقراطية والانحياز الاجتماعي والتحرر الحضاري والنضال التغييرية.

يعتبر عبد الحميد الجلاصي مهندس التنظيم السري في مرحلة المواجهة مع الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، وهو يمتلك نفوذا قويا وولايات شخصية في الحركة، واستقالته تعود في جزء منها إلى خسارة ما بات يعرف بالجيل المؤسس لنفوذه لفائدة أجيال جديدة لا علاقة لها بالسجون والعمل السري، وفي أغلبها منتدبة ما بعد الثورة.

وهذا هو الصراع الحقيقي داخل النهضة بين جيل كان المالك الوحيد للقرار والحامل للشرعية التاريخية والسجنية، ويعتقد أنه الأولي بأن يظل في موقع مقدم، وبين جهة أخرى تضم فئة العائدين من الخارج الذين لا تعينهم قضية النضال والتجربة السجنية وهم عملياً القادة الفعليون في الحركة.

وانتدبوا قيادات جديدة بلا تاريخ في سياق التخلص من نفوذ الجيل القديم، وحتى القيادات القديمة التي ما تزال تدعم خيارات الغنوشي يتم تمكينها من أدوار ثانوية، وفسح المجال أمام جيل التكنوقراط لغزو المواقع القيادية.

ومن الواضح أن الجلاصي يشير في حديثه عن الشللية والتدخلات العائلية لدى الوسط العائلي للغنوشي، وأساسا صهره رفيق عبد السلام، الذي بات ينتقل معه في أغلب سفراته، كما يتموقع في أغلب المناصب القيادية ويعرف التوازنات والمراحل السرية التي قطعتها، فيما زيتون صعّد إلى الواجهة الحزبية خلال رحلته في المهجر ضمن فريق الغنوشي وكان أحد مردييه ومتأثرا بأفكاره وبرامجه و"فتاواه" في الانفتاح.

ومن قبل الجلاصي وزيتون، كان رياض الشعبي، القيادي في المكتب التنفيذي، قد أصدر تقييمات غاضبة، لكنه سعى في فترة أخيرة إلى أن يكون أحد مرشحي الحركة في الانتخابات التشريعية، وهو أمر ربما حالت دونه مزاجية الغنوشي.

والأمر نفسه قد يخص محمد بن سالم وزيد العذاري اللذين أطلقا تصريحات غاضبة ضد

بجتهك إلى ضوابط دينية في أدائه، قائلا "الخلاصة التي أصل إليها اليوم أنه تم استنزاف الرصيد الأخلاقي والقيمي والأركان التأسيسية مثل الصدق والإخلاص والتجرد والإيفاء بالتعاقدات والديمقراطية والانحياز الاجتماعي والتحرر الحضاري والنضال التغييرية".

صراع مواقع

يعتبر عبد الحميد الجلاصي مهندس التنظيم السري في مرحلة المواجهة مع الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، وهو يمتلك نفوذا قويا وولايات شخصية في الحركة، واستقالته تعود في جزء منها إلى خسارة ما بات يعرف بالجيل المؤسس لنفوذه لفائدة أجيال جديدة لا علاقة لها بالسجون والعمل السري، وفي أغلبها منتدبة ما بعد الثورة.

وهذا هو الصراع الحقيقي داخل النهضة بين جيل كان المالك الوحيد للقرار والحامل للشرعية التاريخية والسجنية، ويعتقد أنه الأولي بأن يظل في موقع مقدم، وبين جهة أخرى تضم فئة العائدين من الخارج الذين لا تعينهم قضية النضال والتجربة السجنية وهم عملياً القادة الفعليون في الحركة.

وانتدبوا قيادات جديدة بلا تاريخ في سياق التخلص من نفوذ الجيل القديم، وحتى القيادات القديمة التي ما تزال تدعم خيارات الغنوشي يتم تمكينها من أدوار ثانوية، وفسح المجال أمام جيل التكنوقراط لغزو المواقع القيادية.

ومن الواضح أن الجلاصي يشير في حديثه عن الشللية والتدخلات العائلية لدى الوسط العائلي للغنوشي، وأساسا صهره رفيق عبد السلام، الذي بات ينتقل معه في أغلب سفراته، كما يتموقع في أغلب المناصب القيادية ويعرف التوازنات والمراحل السرية التي قطعتها، فيما زيتون صعّد إلى الواجهة الحزبية خلال رحلته في المهجر ضمن فريق الغنوشي وكان أحد مردييه ومتأثرا بأفكاره وبرامجه و"فتاواه" في الانفتاح.

ومن قبل الجلاصي وزيتون، كان رياض الشعبي، القيادي في المكتب التنفيذي، قد أصدر تقييمات غاضبة، لكنه سعى في فترة أخيرة إلى أن يكون أحد مرشحي الحركة في الانتخابات التشريعية، وهو أمر ربما حالت دونه مزاجية الغنوشي.

والأمر نفسه قد يخص محمد بن سالم وزيد العذاري اللذين أطلقا تصريحات غاضبة ضد

بعد سنوات من الثورة وقف التونسيون على صورة مغايرة لتلك التي رسمتها سرديات النضال والعذابات والسجون، صورة البراعماتية بما تعنيه من الإغناء للمبدئية والمرجعية الدينية، والانتهازية بما تعنيه من توظيف وسائل غير مشروعة للحصول على الغنائم، وهي وسائل طبقت داخل حركة النهضة، في سياق الصراع على المواقع داخل الحزب وداخل الدولة.

ويعترف الجلاصي في رسالته أن الحركة لم تمر "في تاريخها بمثل حالة المركزة الراهنة (احتكار القرار) في الموارد والمصالح (...). ويمثل حالة التهميش للمؤسسات والسفاهة في إدارة الموارد المادية والبشرية والتجويف للهيكل".

وتشدد على أن احتكار القرار أورت الكثير من "الأمراض ومنها أن تنتشر أفكار فقهيّة في مجال مدونة الأسرة في إجبار الإسلاميين على تغيير خطابهم القديم الذي تضمنته المدونة الأولى في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين.

وختم اعترافه بحقيقة صادمة لجمهورية الإسلام السياسي، الذي ما يزال يعتقد أن حركة النهضة حزب "التحديث" والقيم الكونية. وفي الطريق إلى ذلك تتخلص من رموز تاريخية أديت على إظهار مواقف متشددة والتمسك بالمدونة الأولى، مدونة الجماعة التي تعتمد على الفتاوى الفقهية وآراء الجيل الإخواني المؤسس مثل حسن البنا وسيد قطب وأبو الأعلى المودودي في تصنيف الخصوم والحكم على البرامج المقبلة. وقادت هذه الهرولة إلى البراماتية إلى "تساقط" قيادات تاريخية تم تحييدها من خلال مناورة الفصل بين الدعوي والسياسي والتي كان هدفها تسهيل عزل الوجوه المتشددة، وإن كانت شغلت مواقع متقدمة في الحركة مثل حبيب اللوز والصادق شورو.

عبد الحميد الجلاصي: الخلاصة التي أصل إليها اليوم أنه تم استنزاف الرصيد الأخلاقي والقيمي والأركان التأسيسية مثل الصدق والإخلاص والتجرد والإيفاء بالتعاقدات والديمقراطية والانحياز الاجتماعي

